خواطر أنثى
تأليف: آية الحليوي

"خواطر أنثى"

تأليف: آية العليوي

تدقيق: غدير العيسى

تصميم وإشراف عام: ديالا اسماعيل

المقدمة:

في هذهِ الصّفحات لن أقدّمَ لكم مجردَ كلمات،
بل أقدّم لكم جزءاً منّي، من أفكاري، من دموعي،
ومن فرحتي الصّغيرة.
هذهِ الخواطرُ ليست مجردَ كتاب، بل مرايا صادقةٌ لعالمٍ
داخليّ يتأرجحُ بين الحلُمِ والحقيقة، وبينَ الحنينِ والخوفِ،
وبين الحبّ والألم.
كتبتُ لأبوحَ بما يضجّ في روحي، لأرسم الحياة من خلال
التّفاصيلِ الصّغيرةِ لأكشِفَ عن نبضاتِ القلب التي لا
تُرى إلّا حين نصغي بصدق، هنا ستجدونَ حكايةَ
الطّفولة المفقودة، الحنين الذي لا يموتُ، المشاعر المكبوتة،
الحبّ الذي يشفي، والقدرة على النّهوض بعد كلّ سقوط.
هذا الكتاب هو محاولة لإضاءةِ زاويةٍ من حياتي، لعالمٍ
ربما يشبه عالمك، لعاطفةٍ ربما شعرتَ بها يوماً خذوه
كما هو، بلا زينة، بلا رتوش، مع كلّ صدق كلماته،
فالحقيقة لا تحتاجُ إلى تجميل.

الإهداء:

إلى كلّ قلبٍ صامدٍ رغمَ العواصفِ، إلى كلّ روحٍ وجدت نفسها في لحظةِ ضعفٍ ثم نفضت الغبارَ عنها، إلى كلّ من قرأ كلماتي فشعرَ بنفسهِ بينَ السّطور.

هذا الكتابُ لكم فلتبقَ مشاعركم صافيةً ولتبقوا كما أنتم أنقياءَ وصادقين.

إلى أمّي وأبي، إلى إخوتي وأصدقائي الذين دعموني منذُ البدايةِ، وإلى شخصٍ كان داعمي من خلفِ الأضواء

" إلى من يقرأني بقلبه"

إلى قلبٍ مؤمن بي،
السّلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.
منذ قليل مررت بجانب جلسة نسائية فسمعت
إحداهن تتحدث عن غيرتها الشّديدة التي ازدادت
على زوجها الذي تزوج عليها منذ شهور،
نظرت إلى عينيها رأيت فيهما من الخذلان مايكفي،
انتابني الفضول حتّى كاد أن يقتلني لأنّ هذا الأمر
يهمني وبشدّة،
ذهبت إلى تلك المرأة جلست بجانبها،
ودون أيّ مقدمات سألتها
مالذي حصل؟
ثم لماذا زوجكِ اتخذ هذا القرار؟
لتقول لي جواباً وكأنّه صفعة لوجهي لاجواب قالت
وكان الدّمع قد تجمع في عينيها: أنجبت طفلتان
ثمّ لم أرزق بغيرهنّ، فقال لي زوجي أنّ التّعدّد مسموح،
وأنّه سنّة، ولولا هذا لما تزوج الرّسول ولاعدّد،
لحظة سُنّة!!!
أي سُنّة هذه؟؟؟؟
ثم إنّ التّعدّد مسموح كلّنا نعلم...
لكنّ الرّسول تزوج بعد أن توفت السّيدة خديجة ليس
على حياة عينها، أقول التّعدّد مسموح كلّنا نعرف...
لكن أتسائل بداخلي كيف لرجلٍ يستطيع هدم بيته هكذا؟

كيف يدخل امرأة أخرى إلى بيته وقلبه؟
ثم ماشعور بناته الذي أتت لهم زوجة أبٍ تشاركهم
بحنانِ أبيهم، وما شعور تلك الزّوجة التي قامت
بواجبها تجاه زوجها فقط لأنّها لم ترزق بفتى؟
ماذنبها؟
هل هو بيدها؟
ثم هكذا يُكافئ الإنسان عل تقديمه كلّ خير؟
وماذا عن خيبة بناته؟
كيف استطاع أن يطرد السّلام من بيته ليحوّل
ذاك المنزل إلى جحيم بيتٌ طُرِد منه الأمان والحنان،
أصبح فيه من البغضاء والكره مايكفي،
انا لستُ ضدّ الدّين معاذ اللّه،
لكنّني ضدّ تلك الفكرة الغبيّة الشائعة بين ذكور هذه الأيّام
" التّعدّد مسموح"
وهذا ما يعرفونه من الإسلام.

علموا أن التّعدّد مسموح وجهلوا أنّ العدل أساسٌ
لِتلك الخطوة، نسوا كيف زوجاتهم قامت بكلّ واجباتها،
وتذكروا ذاك الخطأ البسيط.
أنا لا أنكر أنّ هناك بعض النّساء عاصيات لأزواجهن
لكنّني لا أنكر أيضاً أنّك بالحنيّة تملك قلبها وتكون
تحت طوعك أنت بالأسلوب الجميل والكلمة اللّطيفة،
تصبح أسوء زوجة صالحة، وإن رزقك الله بفتاةٍ
حنونة قائمة بكلّ واجباتها تجاهك وتجاه أطفالكم
محافظةٌ على بيت الزّوجية وعلى علاقتكم كيف
يستطيع قلبك أن يهدم كلّ هذا؟
بعد ذاك الحديث شعرتُ أنّني أودّ أن أناقش
ذاك الرّجل الذي سيكون أباً لأبنائي
ما رأيك بالتّعدّد؟
تلك الفكرة التي تخيفني
وتخيف أيّ امرأة.

فنحن لانحبّ مشاركة أغراضنا لأحد فما
بالك بشخصٍ نملكه؟
أتاني سؤال هل أنت مثلهم؟
هل تعلم من الإسلام "التّعدّد مسموح".
وتحفظ من القرآن آية من سورة النّساء
<مثنى وثلاث ورباع>؟
حديثٌ يطول الكلام عنه
كم من زوجٍ سعى لخراب بيته بيده ظنّاً
من أنّه يصلحه لكنّه نَدِم،
ثم أتى إلى زوجته منكسراً
حاني الرّأس جاء بماذا؟
أجاء ليعتذر؟
ويعتذر عن ماذا!؟!!
هل كسرَ صحناً؟
أم مزّقَ كِتاباً ؟
أم أنّه أوقع كأساً ؟
هو دمَّرَ بيتاً، وكسرَ قلباً، وهدم علاقة.
قبل أن تفكر بالتّعدّد
فكر بالنّتائج، فكر بزوجتك
وأطفالك.
من قلبٍ ليس كالكُلّ.

"شامُنا"

أساسُ تقدمِ المجتمعاتِ في كلّ زمانٍ ومكان فهي المقياسُ الحقيقيّ لقوّةِ الأممِ ورفعتها بِها نرتقي لنُعانق النّجوم، ومن دونها نسقطُ في مهاوي الجهلِ والظّلام؛ إنَّها بلادُ الشّام التي كانت مقصدنا وغايتنا، فهي مسرّةٌ للقلوبِ، وياسمينها عطرُ الجنان، يالها من زهرةٍ فواحة نشرت عبيرها في أرجاء حياتنا المُظلمة، بلاد الشّام التي كانت ولازالت محطّ أنظار الاحتلالات، تلك البلد الصّامدة الجبارة بوجِه كُلّ عدوٍ، تِلك البلد التي قدمت شبابها قرباناً للحرية....

فهي مدينةُ التضحياتْ مدينة الحُبّ....

فالشّامُ لنا وأرواحنا فداً لها.

"مشاعرٌ مكبوتة"

تلك الفتاة القويّة الجبارة التي تبانُ أمامَ الجميع
بصلابتِها وثباتها، إلّا أنّها فتاةٌ منهارةٌ من الدّاخل،
مهزومةٌ من الواقع، تعيشُ صراعاً داخليّاً بروحٍ
منهكةٍ تتآكل في رأسها الأفكار، صدمةٌ تلوَ الأخرى،
يومٌ بعد يوم يسوء.
تخفي وراء ابتسامتها الزّائفة وجعاً عميقاً، وتحت
قناع القوّة، قلبٌ يرتجفُ من الخوف، وعقلٌ يعجُّ
بالأسئلة التي لا تجدُ لها إجابات، وفي أعماقها تحملُ
حطاماً من المشاعر المكبوتة والدّموع المحبوسة تنتظرُ
لحظة سلامٍ داخلي، لحظة تتصالحُ فيها مع نفسها
وتتنفسُ الصّعداء بلا خوف أو قلق.
هي فتاةٌ، وإن بدت صامدةً، إلّا أنّ في داخلها عاصفة لا تهدأ.

"دفء التّفاصيل"

في تلك الأشياء البسيطة تنبت سعادتي.
في بيتٍ صغيرٍ تُعطّره رائحةُ القهوة كلّ صباح،
ويُزيّن شرفته ذاك البلكون الصّغير المليء بالورود،
حيث تتدلّى ياسمينةٌ عابقةٌ برحيقها، كأنّها تهمس:
"صباح الخير".
هناك، في حضنِ عائلةٍ صغيرةٍ، اعتادت أن تتقاسم
تفاصيلها بحبّ، وجدتُ أنّ السّعادة ليست قصوراً
ولا أموالاً طائلة، بل مالٌ يكفي لنعيش يومنا، حضنٌ
دافئ يخبّئ تعبنا، وكوب شاي نرتشفه ونحن نضحك
على أتفه الأشياء.
السّعادة كتابٌ نقرأه على مهل، فيلمٌ نشاركه مع مَن نحبّ،
وجمعةٌ دافئة تجمعنا بالأهل والأصحاب.
هي القليل من الكعك مع كأس حليب، وطبق فوشار أمام
"سبونج بوب" الذي يعيدنا أطفالاً كلّما شاهدناه.
هي لحظةُ لقاءٍ مع الأصدقاء، وضحكةٌ بريئةٌ لا
يُشبهها شيء، وقطعةُ حلوى تُعيد للرّوح طفولتها.
هنا، في هذه الزّوايا الصّغيرة، تكمن سعادتي.
فالحياة ليست بما نملك، بل بمن نملك قربنا.

"لحظة هدوء"

على حافة الطّريق، آخذ قسطاً من الرّاحة.
أُسند أعباء الحياة جانباً، وأتركها تستلقي
بين الأشجار والورود.
لبضع دقائق فقط، أخلع زُهد الحياة، وأمنح
نفسي استراحة محاربة، كافحت طويلاً دون توقف.
أغمضت عينيَّ وفكّرت في كلّ ما رغبتُ به يوماً...
تخيلت تلك الأحلام التي سعيت لها كثيراً، كيف
صارت قريبة، كيف أصبحت على قمّة أستحقها.
تخيلت ذاك المستقبل الجميل، إلى جانب من
اختاره اللّه لي شريكاً ورفيق درب.
شخص يكون لي أملاً، وعوناً في هذه الحياة.
ثم نهضت.
بكلّ ما في القلب من إيمان، وقفت من جديد...
لأكمل السّعي، حتّى يصبح الحلم واقعاً أعيشه.

"فضاءُ الحُبّ"

هُنا حيثُ لا مكانَ للحقدِ ولا للكره، هُنا حيثُ يُقيمُ القلبُ
للحُبِّ وحده، هُنا أمانٌ واطمئنان، لطفٌ وحنان
فبالحُبِّ تستطيعُ أن تحملَ الكونَ على ظَهرِك،
لا بل ومشاكلهُ أيضاً، حينها تُصبحُ أعباءُ الحياةِ أخفّ
وحِملُها أقل بجانبِ من تُحبّ.
هُنا حيثُ تكونانِ سَنداً لبعضكما، تتحوّلُ ساحةُ المعركةِ إلى
فَضاءٍ من الحُبّ كوكبٌ مليءٌ بالسَّلام.
لن تجد هُنا سوى الودِّ والرّحمةِ والكثيرِ من العطاء
ستتحوّلين إلى فراشةٍ
وتتحوّلُ إلى بطلٍ خارقٍ
سترسمانِ حياةً جميلة
وبجانبِ بعضكما يتحقّقُ المستحيل.
فعلى قلبيكما السّلام
وعلى روحيكما الاطمئنان.
ففي فَضاءِ الحُبِّ، لا ينتهي الأمل.

"روحٌ معلقةٌ بسراب"

تراني صامتة أمامك، لا أقول شيئاً، لكن داخلي يعجّ
بآلاف الكلمات ومئات الحروف وقصائد لم تُكتب بعد.
وددت أن أبوح لك بكلّ هذا، أن أفتح لك أبواب قلبي
حيث حبٌّ لك يتكدّس، حبٌّ لو فاض لملأ أرجاء الكون.
أنظر إلى عينيك فأستعذب لونهما، ذاك اللون الذي
يغرقني في تفاصيله.
أكتب إليك اليوم، ولا أعلم إن كان سيأتي ذاك اليوم
الذي تقرأ فيه هذه الكلمات، لكنّني اعتدت أن أخفيك
بين السّطور، كما أخفيتك في قلبي طويلاً.
فقد اكتفيت أن أخبر عنك الورق بدلاً من أن يبوح بك لساني،
واعتاد قلمي كتابة اسمك قبل أن ينطقه شفاهي.
آية العليوي.
من شدةِ الضّيقِ نادتْ روحي،
فأطلقتُ زفراتٍ حبيسةً، وراءَ قضبانِ اليأس.
ففاضتْ على الأغصانِ منتشيةً، تغني وتَرِفُّ
بأنّ الحياةَ لمن صبر.
فكم من دمعةٍ سُكِبَتْ في الخفاء، لكنّها طارتْ
فراشةً من أمل.

"ذاتي"

فتاةٌ من وسطِ الظّلام تصنعُ نور،
بوسطِ الحرب تعلن هُدنة،
أنا التي لم يهزّها تخلي أحدٍ،
فأنا كاملةٌ بنفسي، وأنا من أُكمل،
أنا التي تحول ساحات المعارك
إلى لعبةٌ في يديها.
لم أندم على شيء يوماً،
لم أكن فتاةً ضعيفة ولاعاديّة،
لا يهزّنِي موقفٌ، ولايقتُلنِي رحيل،
قويّةٌ بذاتِي، مستقلةٌ بنفسِي بعيدةٌ
عن تفاهات الحياة.
إن كُنتَ معي فأهلاً بك،
وإن غادرت، لاشيء يؤثر كلاهما واحد،
فأنا سياديّةُ نفسي.

"ميثاقٌ غليظ"

كيف سأصف لحظة جُمع فيها قلبينا؟
وفّق اللّه بيننا وجمعنا بحلاله.
ماذا سأقول عن لحظة تشبه الهدنة أثناء الحرب؟
بعد عاصفةٍ طويلة وسنين أراد اللّه أن يجمعنا
تحت سقفٍ واحد.
عُقد قِراننا....
أصبحنا الآن ملكاً لبعضنا،
جئت اليوم طالباً لي، موفياً بعهدك الذي عادتني إيّاه،
كرَّمتنِي وأتيتَ إلى بيت أهلي
فأقولها بكلِ فخرٍ " نعم قبلت".
قبلتُ بكَ زوجاً لي، وأنيساً لروحي صديقاً لدربي،
وسيداً لبيتي، أباً لأطفالي، وحبيباً لي مدى الحياة.
كما كُنت معي منذ بداية الطّريق، سنكمله وأيدينا ببعضنا،
بعد اليوم لم يعد هناك أنا وأنت بل "نحنُ".

"المشاعر"

ماذا لو كنت أنا المجرمة؟
كنتُ سأقتُل الجرِيمة، سأقتل الطّائفِية،
لن أقتل شخصاً ولن أسرق بنكاً، بل سأقتل الخيانة،
وأتخلص من الكذب، وليعيش الحبّ والصّدق إلى الأبد،
ثم بعدها لن يكن هناك خوفٌ ولا شك، كنت سأقتل البعد،
لأجعل كلّ حبيبٍ بقرب أحبّائه، لو أنّني مجرمة
لقتلتُ الخذلان، ليكُن هناك ثقةٌ تامة لا ضياع،
لو حقاً أصبحت مجرمة لقتلت الوعد الزّائف،
حيث بعدها لا كذبٌ ولا خداع، قولٌ صادق ووعدٌ محقق،
لقتلت الإنتظار واستبقت الوقت، والتقى كُلٌّ بمن يود.
لمزّقت الأفكار السلبيّة، وهمشتها، ليصبح هناك منطقيّةٌ
في التّفكير وإيجابيّة.
وبعدها يحيا العالم بسلامٍ تام.

"كوزيت هذا الزّمن"

كانت تمشي حافيةً في طريقٍ موحل، تحمل دلواً أثقلَ
من قلبها الصّغير
لكن خلف الشّاشة، *الآلاف من*"كوزيت"
لا في رواية فيكتور هوغو، بل في شوارع الخراب، وتحت
رماد القصف.
كوزيت كانت تحلمُ بلحافٍ دافئٍ، وصوتٌ لا يصرخُ فيها
وأطفال غزّة يحلمون بليلةٍ تمرّ دون أن تتشقق السّماء
فوق رؤوسهم.
كوزيت فقدت والدتها في صمت، وكم من طفلٍ فقد أمّه
وهو يحتضن جثّتها الصّغيرة؟.
كم من طفلٍ صرخ في الظّلام ولم يسمعه أحد؟.
كوزيت كانت قصّة واحدة، لكن قصص الحرب اليوم
لا تُحصى ولا تُحكى؛
أيّ ذنبٍ اقترفوه؟!، حتّى يُحرموا من حقّ الطّفولة؟
أن يولدوا في زمانٍ يعاقِبُ البراءة، ويسجن الأحلام
خلف القضبان؟.
كوزيت وجدت "جان فالجان"، فأنقذَ قلبها قبلَ جسدها،
لكن أطفال الحرب، هل من أحدٍ يراهم؟
هل في هذا العالم مَن يمدّ يده وينقذ أرواحاً، لا ذنب
لها إلّا أنّها كانت صغيرة جدًا لفهم كلّ هذا الألم؟
الطّفولة ليست مرحلةً بل حقّ.
والبؤس ليس أدباً فقط بل حقيقة تعيشها قلوب
ما زالت ترتجف من الخوف.

"نبض الأمّة"

لطالما كنتِ أنتِ المضحية الأولى، وأنتِ من تُدير
هذه الحياة، تقودين بيتاً، وتربين أجيالاً، وتنشئين رجالاً.
أنتِ الأمّ والمربية، الصّديقة والمؤنسة، أنتِ الحضن الذي
يحتوي كلّ مريض، وكلّ قلب موجوع.
وازنتِ بين دراستكِ وطموحاتكِ،
تدرسين تارةً، وتحافظين على بيتكِ تارةً أخرى.
أنتِ التي تنشرين الحبّ رغم أنك أحوج ما تكونين إليه.
أنتِ الملكة التي تدير مملكة بل أمّةً كاملة.
أنتِ لستِ نصف المجتمع، بل أنتِ المجتمع كله.
أنتِ الحياة حين تضيق الحياة، وأنتِ الأصل في كلّ شيءٍ جميل.
فكوني كما كنتِ دائماً النّور حين يغيب الضّوء والقوّة
حين تهتز الأرض.

"هيبةُ رجل"

لاخيرَ في رجلٍ يسترخِصُ نفسهُ، في مخاطبةِ النّساءِ
بغيرِ حياءٍ ولا ضابطْ، يتنقلُ بينَ الأحاديث كما يتنقلُ
الضّعيف بين الشّهوات، لا يعرف حدوداً ولا يملك
زمام لسانه....
وإنّ أسوأ ما في الرّجلِ أن يُهزَم أمامَ نفسهِ قبلَ أن يُهزَم
أمام غيرهِ....
أن يترِكَ طبعهُ معلّقًا بين كلّ كلمةٍ عابرة ونظرةٍ طائشةٍ،
لا يعرف متى يصمت ولا متى يوجز....
بِئسَ الرّجلِ أنتَ إن لم تُقوِّم نفسك، وتشدّ على عنانها شدّاً،
فالرّجل الحقّ لا يضعف أمامَ هفواتِ الحديث ولا يبتذلْ هيبته....
كُن رجلاً إن أردت أن تُحسَب في عدّاد الرّجالِ:
اضبط لسانك..
وارفع مقامك..
ولا تتكلّم إلّا حين ينبغي..
فإذا تكلّمتَ بميزانٍ من رجاحة وفطنة، لا لغوٌ ولا خفّة.
فمن لا يُربّي نفسه فلن تُربّيه الحياة.

"وداعاً "

انا لا أُزعجكَ ولا أُحزنكَ أيضاً أنا لا أُبكيك
يكفي أنكَ أنت فعلتَ كُلّ هذا من قَبل
أنا الآن أحاول نسيانكَ
فأرجو أن تُودعني بما أنا أهلٌ له
أنّني أريد أن أضع حدوداً لتلك الحكاية الغبية
فهاك هذا عناقٌ عيني وعيناك
وخذ هذا فراقٌ بيني وبينك
فإذا دمعت أنت الآن
فأنّي قد دمعت عيناي ليالٍ طوال
لا عطرٌ لك أشتمّه فيرقّ قلبي وأعودُ لك ولا
كلامٌ بيننا من الآن
أنت في حفظ اللّه ووداعه
وأنا في طريق النّسيان أصارع نفسي!!

"كَلمتِي الأُولى"

أَوّل حَبِيبٍ أَوّلُ صَدِيقٍ أَوّلُ مَنْ لَفَظَتْ شَفَتاي باسمهِ
سَندِي وَدَاعمِي الحَقِيقِي.
فِي لَمستِ يَداهُ حَنَانْ وحضنَهُ أَمَانْ أَمّا عَنْ نَظرتِ عِينَاه
فهِي وطنٌ بأكملهِ هُو مَنْ خَطُوتُ خُطُوَاتِي الأُولى على
يَداه كَانَ المُضَحِي الأَوّل والفَارس المغُوار وَلو أَنَّ
لِلتّضحِية سَبِيل لضَحى بِأغلى مَا يملك حتّى بنورِ عينبهْ
فهُو الحُصنْ المنِيع الذي أَحتمِي بِه
فَخرِيفُ أَيّامِي يُصبحُ ربيعاً بجانبِه.

"صدقٌ لايهاب الجحود"

لم أكن يوماً بحاجةٍ إلى تزيين مشاعري بالكذب.
أحببتك بصدقٍ صافٍ، كأنّ قلبي وُلد من جديدٍ
حين لامس قلبك.
كنت أرى الحبَّ وهماً، حكايةٌ لا تُصدَّق، حتّى جئتَ أنت،
فأيقظتَ فيّ الإيمان به، وزرعتَ في قلبي ربيعاً لا يزول.
أتظنّني أكذب في حبّي؟
أنا التي أحنّ إلى الغريب إن مسّه وجع، وأبكي حين أسمع
بخيانةٍ طالت قلباً صادقاً.
فكيف لا أحنّ إليك؟!.. وأنت الأقرب إلى روحي من نفسي؟..
أتظنّني أخون مشاعري الأولى؟..
هيهات....
ما نطقتُ باسمك إلّا بصدقه
ولا أحببتُ إلّا كما علّمتني أنت معنى الحبّ.
إن رأيتَ صدقي لك كذبةً،
فذاك شأنك.
أمّا أنا،
فقد أحببتك،
وهذا ما عندي..
حبٌّ لا يطلب تصديقاً،
ولا يهاب الجحود.

"حين يتأخر كلّ شيء"

لم تعد الحكاياتُ تُدهِشني
ولا تِلكَ الصّدف التي تأتي متأخرةً بعد مُنتصَفِ اللّيل.
كأنَ الوقتَ نفسَهُ تعِب من تكرارِ الأعذار، وكأنَ الكلماتَ
فقدت ملامِحها من كثرة ما استُهلكت، كنتُ أرى ما لا يُقال،
وأفهَم ما تحاول أن تخفيه بينَ الحروف.
أصبحتَ تتكلم فأصغي إلى الصّمت لا إليك، وأبتسم لأنّ
الإجابات باتت تعرف طريقها إليّ دون أن أسأل...
ما عدتُ أعاتب، ولا أحتاج تفسيراً لغيابٍ باتَ يشبه العادة.
يكفيني أنّي أرى الحقيقة تمشي أمامي بثوبٍ من الصّدف،
وأتظاهر بأنّي لا أراها فبعضُ البصيرة وجع، وبعضُ
الصّمت كرامة، وبعضُ الإهتمامِ الذي يأتي متأخراً
لا يُشفى منه القلب أبداً
هي لا تُحاسب، لكنّها لا تُنسى.

"قلبٌ يكره الرّحيل"

أكره السّفرَ وكلَّ من ينويه دون حاجة، أكرهُ لحظاتَ الوداع...
كأنّ في كلّ رحيلٍ يتكسّر جزءٌ خفيٌّ من روحي...
مرّاتٌ كثيرةٌ ودّعتُ فيها وجوهاً حتّى صرتُ لا أذكر من بقي
ولا من مضى.
أخاف الفقد...
كأنّ الأيّام لا تُنجِب لي سوى غيابٍ جديد.. كلّ صديقٍ.. كلّ قريبٍ..
كانَ فصلاً من حكايةٍ انتهت قبل أوانها.
طفولتي كانت مرفأً يعجّ بالرّاحلين، وصباحاتي فجراً يلوّح بحقائب
السّفر، وهم يتركون خلفهم قلباً صغيراً
يرتجف من البكاء حتّى بتُّ أخاف الاستيقاظ من كثرة الفقد.
منذُ صغري وأنا أتعلم أنّ الأشياء لا تدوم، وأنّ اليد التي تُلوّح
اليوم قد لا تعود غداً لتطرق الباب... لذا صرتُ أرتجف من الفقد...
أرتجف من المسافات، ومن صباحٍ آخر يسرق منّي أحداً
فقد تعبت القلوب من الوداع، ولم يعد في داخلي متّسعٌ
لرحيلٍ جديد.

"صمتٌ يضجُّ"

هناكَ صوتٌ داخلي لا يهدأ، يصرخُ بالحقيقةِ التي أخفيتها
عن العالم، عن نفسي، حتّى عن من أحبّ.
الكلماتُ لا تكفي أحياناً، والقلوبُ لا تستطيعُ حملَ كلّ
ما فيها لكنّها تحاولُ دوماً.
القوّة ليست في الضّجيج، بل في الصّمت الذي يحملُ
صِدقكَ في القدرة على أن تقول "أنا هنا"،
حتّى لو ارتعش قلبُكَ.
القوّة أن تصنعَ من دموعِكَ حروفاً، ومن جروحك
لوحةٌ ترى فيها الحقيقة بعينكَ فقط، وأن تمضي
رغمَ كلّ العقبات، رغمَ كلّ من حاول أن يقيّدك.
قوّتكَ الحقيقية هي صِدقكَ مع نفسِكَ، وما تستطيع
أن تعبّر عنه فالتّعبيرُ عن ذاتِكَ، بصدقٍ كاملٍ هو
أعظمُ ثورةٍ يمكن أن تخوضها في حياتك.

"ليلٌ وقمر"

اللّيل لحظةٌ تتوقفُ فيها المدينةُ عن صخبها، وتتسللُ النّجوم لتضيءَ الطّرقاتَ الخفيّة، أصواتُ اللّيل لا تُقارن بأيّ موسيقى، همسُ الرّيح بينَ الأشجار ورائحةُ الأرضِ بعد المطر تنقلني إلى مكانٍ لا يعرفه أحدٌ سواي، أجلسُ وحدي لكنّي لستُ وحيدة، فكلّ فكرةٍ تمرّ في رأسي، وكلّ حلمٍ تأخرَ يصبحُ رفيقي، صمت اللّيلِ يُعلّمني أكثرَ من أيّ حديثٍ، يعلّم قلبي كيفَ يستمِعُ، وكيف يحنو على نفسه.

أفتحُ كتاباً قديماً، وأقرأُ جملةً توقفت عندها الرّوحُ قبل الحرف، فأشعرُ وكأنّ الكاتبَ كتبها خصيصًا لي، لأسمع في كلماتهِ صدى أفكاري.

اللّيل لا يسرقُ، بل يمنحُ... يمنحُ فرصةً لإعادة ترتيب الروح لتسافر بين ذكريات دافئة بين ضحكات أمي التي تتردد في رأسي، وبين خطوات أبي التي تملأ المنزل بالطمأنينة.

كل شيء يصبح أعمق الحلم الذي لم يتحقق، الحب الذي بقي صامتًا، والأمان الذي نجده في تفاصيل صغيرة، لكنها كبيرة بما يكفي لتشعل دفءً لا يزول.

اللّيل يعلّمنا الصّبر، يعلّمنا أن نحبّ اللّحظة التي نحن فيها، قبل أن تتحوّل إلى ذكرى. وفي هذا الصّمت، أجدُ نفسي، أجدُ عالمي، وأجدُ أنّ كلّ شيء ممكن إذا عرفنا كيفَ نسمعُ بقلوبنا قبل آذاننا.

"تذكّرني"

إن جاء يومٌ ولم أكن جزءاً من تفاصيلك...
فتذكّرني عند هطول المطر، عندها ستشعر أنّ شيئاً
بداخلك لم يعد كما كان... تذكّرني عندما يمرّ كتابٌ
قديم بين يديك، فأنا السّطر الذي اختفيت فيه
ولكنّك ستظلّ تلمحني بين الكلمات...
تذكّرني حين ترى قطّة تتنقل بخفّة، فقد كنتُ يوماً
تلك اللّمسة الخفيّة التي مرّت دون أن تشعر...
تذكّرني عندما ترى الأطفال يضحكون، فهم يحملون
شيئاً من براءتي التي كنت تلمحها في كلّ لحظة...
وإن مرّت الأيّام ولم تجدني بين يديك، فلا تحزن
بل... تذكّرني...
أنا لم أكن يوماً مجرد ذكرى، كنتُ اللّحظة التي لا تستطيع
أن تنساها، كنتُ الوحي الذي لم تكتشفه...
لكن... فقط تذكّرني...

"شبابُنا"

إلى كلّ روح شابّةٍ تبحثُ عن مكانها.
اعلموا أنّ الحياةَ لن تعطيكم كلّ ما تحلمون بهِ بسهولةٍ،
لكنّها ستختبرُ صبركُم، شجاعتكُم وإيمانكُم بأنفسِكُم.
الفشل ليسَ نهايةَ الطّريق، بل البدايةُ لِتعلمَ أعمقَ الدّروسِ،
كونوا أنتم الذين يكتبونَ حياتهم، لا من يراقبونَ الآخرين.
احلموا كما تحبّون، اعملوا كما تشعرون، وواجهوا الصّعابَ
كما لو أنّ كلّ خطوةٍ صعبةٍ تُقرِبكُم أكثر من روحِكِم الحقيقية
هذا هو الوقت الذي تصنعون فيه قصّتكُم، والأثر الذي
تتركونه في العالم.
لا تتراجعوا، ولا تسمحوا لأحدٍ أن يقلّلَ من قيمةِ أحلامِكُم،
فأنتم الجيلُ الذي سيحوّل الممكن إلى واقع.

"ورد"

أُدهشُ دائماً من الأشياء الصّغيرة التي لا ينتبهُ لها
أحد، من تلكَ اللّفتة العابرة التي لا تُرى، لكنّها تُشعرني
أن الحياة ما زالت تُربّت على كتفي،
تفصيلٌ صغير كلمة تُقال دون ترتيب، نظرة صادقة
لا تطلب شيئاً، اهتمامٌ يصلني كأنّه جاء من نيّة طيبة
أكثر مما هو من شخص، أنا لا أحبّ المبالغات،
كلّ ما أريده هو ذاك الشّيء الذي يشبهني:
البساطة التي تُطمئن، والتّفاصيل التي يزرعها
من يعرف أن القلب لا يحتاج ضجيجاً ليكون سعيداً
التّفاصيل؟
هي الشّيء الوحيد الذي يجعلني أبتسم بلا سبب
ويجعل من الأيّام العاديّة أياماً تستحقُ أن تُكتب.

"رعب الواقع"

أفكر أحياناً لو عادَ بيَ الزّمن خطوةً واحدةً فقط،
لربما اخترت ألّا أمنحَ قلبي لمن لم يُحسن حفظهُ.
ليس كرهاً ولا جفاءً، ولكن لأنّ الخذلان جرحٌ يبقى
صوته في الرّوح طويلاً، والأغرب أنّ كلّ من حولي
حملوا الإجابة ذاتها كأنّ العالم كلّه تعلم الوجع نفسه،
وكأنّ الثّقة باتت مخاطرةً لا يُقدِمُ عليها إلّا من
لم يذق مرارة السّقوط بعد.
أين الإنسانيةُ التي كنّا نؤمنُ بها؟ أين الأُنس الذي
يجعل وجود شخصٍ واحدٍ فقط قادراً على أن
يخفّف عن القلب نصف الحياة؟.
صرنا نخشى أولئك الذين نظنّهم ملاذاً نتردّد قبل
أن نبوح، ونتوجّس قبل أن نقترب، لا لأنّنا سيّئون
بل لأنّ الطّعنات جاءت من أماكن لم نتوقع يوماً
أن تؤذينا ومع ذلك يبقى الإنسان محتاجاً إلى إنسان.
يكفي أن يأتيكَ شخصٌ واحدٌ فقط صادقٌ في حضوره،
أمينٌ على قلبك، ليذكّرك أنّ هذا العالم ليس موحشاً
كما بدا وأنّ الثّقة مهما جُرحت، لا تموت بل تنتظر
من يستحقها حقاً.

"تفاصيلٌ تنقذ القلب"

أنا من أولئك الذين يؤمنونُ أنّ الجمال يكمُن في التّفاصيل الصّغيرة، في "صباح الخير" تُقال بصدق، وفي "مساء النّور" تُكتَب بعنايةٍ كأنّها وردة تُقدَّم.
أفرح بردّ على نصّ كتبته، ولو كان بسيطاً، وأتأثّرُ بتعليقٍ على روايةٍ أحببتها كأنّ الكاتب كتبها لي وحدي.
وأزداد امتناناً حين أجد من يُشبهني في هذا الإهتمام، من يقرأني في صمتي، ويدعمني بكلمة، أو حتّى بـ "تصبحين على خير" تُقال بقلبٍ دافئ.
ومن يُجيد الإصغاء إليّ بانتباه، كأنّه يضمّ بعينيه ما عجزتُ عن قوله، ويفهم من بين الحروف ما لم أنطق بهِ يوماً.
أسير بخُطى ثابتة، أؤمن أنّ ما كُتب لي سيجد طريقه إلي، وأنّ ما أزرعه اليوم من صبرٍ سيُثمر غداً حضوراً أجمل.
فالتّفاصيل بالنّسبة لي ليست ترفاً بل لغةُ القلب لمن يُتقن الإصغاء.

"حكايتي الأجمل"

لم أُخبره بعد، لكنّني أحبّ تلكَ اللّحظات العفوية
التي يحدّثني فيها عن يومه وهو مرهق.
حين يتكلم بحماسٍ عن الأشياء التي يحبّها،
وحينَ يناقشني في أمور السّياسة،
وآخر إصدارات الهواتف، وحتّى عن السّيارات.
تلك المواضيع التي لا أفهم فيها كثيراً، لكنّني
أستمتع بكلّ كلمة يقولها، فقط لأنّ صوته
هو الحكاية الأجمل.
أحبّ حديثه، وأحبّ الطّريقة التي يملأ بها الصّمت
حضوراً ودفئاً دون أن يدري.

"عينٌ لا تراني"

لم أطلب الكثير...
كانَ يكفيني أن تمرّ عيناكَ على كلماتي،
أن تترك أثراً بسيطاً يخبرني أنّك ما زلتَ ترى ما أكتبه.
لكنّك تمرّ على الجميع إلّا أنا.
أتعلم؟
لم أكتب لأُعجبَ أحدًا، كتبتُ لأراكَ تقرأني، لأشعرَ أنّك
تفهم ما بين سطوري، لكن يبدو أنّ الحروف
وحدها من تنتظر.

"درسٌ لم نكمله"

عندما أحببتك قلتُ لك إنّك أوّل من استعمر قلبي
واحتلّ كياني، أوّل من سرقني من الوجود وأخذني
بعيداً عن العالم.
لطالما أخبرتك منذ البداية أنّني كثيرة الأخطاء،
أتذكّر يومها قلتَ لي بثقة:
"منتعلّم سوا".
ومنذ ذلك اليوم علِقت الجملة في رأسي كنبضٍ لا يهدأ،
أتراها فترت؟
أم أنّك مللت من كثرة أخطائي؟
ألم تقل لي إنّك ستُصلح معي كلّ عيوبي؟
فما بالك اليوم تُعيدني إلى كلّ غلطةٍ مرّت؟
كأنّنا لم نتعلّم شيئاً، كأنّنا لم نبدأ أصلاً، كأنّ الوعود
كانت عابرة، والحبّ كان مجرّد صدفة.
وأنا يا مُهجة روحي أحببتك بصدق، ما زلت أؤمن
أنّ التّعلّم معك كان درسي الأجمل....
حتّى وإن كنتَ أنتَ من تغيّب عن الصّفّ الأخير.

الخاتمة:

ربما تكونُ هذهِ الصّفحات مجرّد كلماتٍ على الورق،
لكنّها كانت بالنّسبةِ لي نافذةً، وملاذاً، ومرآةً.
كلّ كلمةٍ هنا كانت صرخةً صامتةً، همسةَ حنين،
لحظةَ حبّ، دمعةُ ابتسامة، وأمل.
قد لا يقرأُ الجميع ما كتبتُ وقد لا يشعرُ كلّ قلبٍ
بما شعرتُ، لكن لكلّ من وصلتهُ كلماتي تذكر أنّ
الحياة مليئةٌ بالقصصِ التي تنتظرُ أن تُحكى،
وأنّ كلّ مشاعرنا الصّادقة تَصنع الفارقَ ولو
في قلبٍ واحدٍ.
فلتبقَ كلماتُ هذا الكتابِ رفيقتكَ ولتذكّرك
دائماً بأنّ المشاعرَ هي من تجعلُنا بشراً، وأنّ
النّضجَ الحقيقي ليسَ في القدرةِ على التّحملِ فقط،
بل في القدرةِ على أن نحبّ، ونحلمَ، ونصبرُ،
وننهضُ من جديد.

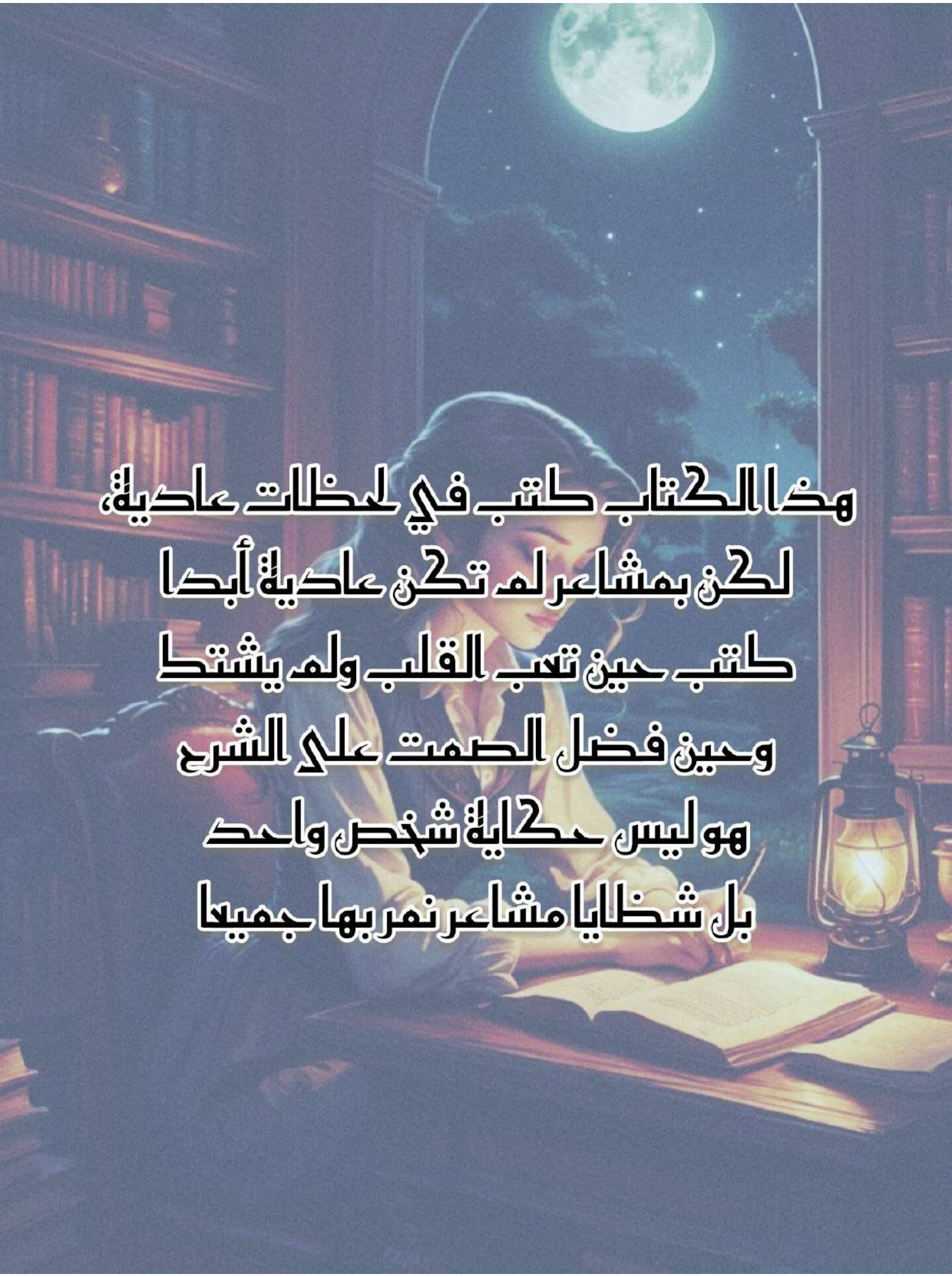
هذا الكتاب كتب في لحظات عادية،
لكن بمشاعر لم تكن عادية أبدا
كتب حين تعب القلب ولم يشتك
وحين فضل الصمت على الشرح
هو ليس حكاية شخص واحد
بل شظايا مشاعر نمر بها جميعا